

## تفسير البغوي

102 - قوله تعالى : { واتبعوا } يعني اليهود { ما تتلو الشياطين } أي : ماتلت العرب تضع المستقبل موضع الماضي والماضي موضع المستقبل وقيل : ما كنت تتلو أي تقرأ قال ابن عباس به : تتبع وتعمل به وقال عطاء تحدث وتكلم به { على ملك سليمان } أي : ملكه وعهده .

وقصة الآية : أن الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف بن برخيا هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفونها تحت مصلاه حتى نزع إ الملك عنه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها وقالوا للناس : إنما ملکهم سليمان بها فتعلموه فأما علماءبني إسرائيل وصلحاؤهم فقالوا : معاذ إ أن يكون هذا من علم إ وأما السفلة فقالوا : هذا علم سليمان وأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم وفشت الملامة على سليمان فلم يزل هذا حالهم وفعلهم حتى بعث إ محمد أ وأنزل عليه براءة سليمان هذا قول الكلبي .

وقال السدي : كانت الشياطين تصعد إلى السماء فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت وغيره فيتاتون الكهنة ويخلطون بما يسمعون في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها [ فكتب ذلك ] وفشا فيبني إسرائيل أن الجن يعلمون الغيب فيبعث سليمان في الناس وجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنه تحت كرسيه وقال : لا أسمع أحدا يقول إن الشيطان يعلم الغيب إلا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب وخلف بعدهم من خلف تمثل الشيطان على صورة إنسان فأتي نفرا منبني إسرائيل فقال : أدلكم علىكنز لا تأكلونه أبدا قالوا : نعم فذهب معهم فأراهم المكان الذي تحت كرسيه حفروا فأقام ناحية فقالوا له : أدن وقل : لا أحضر فإن لم تجده فاقتلوني وذلك أنه لم يكن أحد من الشياطين يدري من الكرسي إلا احترق حفروا وأخرجوا تلك الكتب فقال الشيطان لعنه إ : إن سليمان كان يضبط الجن والإنس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان عنهم وفشا في الناس أن سليمان كان ساحرا وأخذوا تلك الكتب ( واستعملوها ) فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود فلما جاء محمد أ برأ إ تعالى سليمان من ذلك وأنزل في عذر سليمان : { وما كفر سليمان } بالسحر وقيل : لم يكن سليمان كافرا بالسحر ويعمل به { ولكن الشياطين كفروا }قرأ ابن عباس به والكسائي و حمزة ( لكن ) خفيفة النون ( والشياطين ) رفع وقرأ الآخرون ولكن مشددة النون ( والشياطين ) نصب وكذلك { ولكن إ قتلهم } ( 17 - الأنفال ) ولكن إ رمى } ( 17 - الأنفال ) ومعنى لكن : نفي الخبر الماضي وإثبات المستقبل .

{ يعلمون الناس } قيل : معنى السحر العلم والحق بالشيء قال إ تعالى { وقالوا يا

أيها الساحر ادع لنا ربك } ( 49 - الزخرف ) أي العالم وال الصحيح : أن السحر عبارة عن التمويه والتخييل والسحر وجوده حقيقة عند أهل السنة وعليه أكثر الأمم ولكن العمل به كفر حكي عن الشافعي و أنه قال : السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى أوجب القصاص على من قتل به فهو من عمل الشيطان يتلقاه الساحر منه بتعليمه إياه فإذا تلقاه منه استعمله في غيره وقيل : إنه يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الآدمي على صورة الحمار ويجعل الحمار على صورة الكلب والأصح أن ذلك تخيل قال الله تعالى : { يخيل إليه من سحرهم أنها تسعن } ( 66 - طه ) لكنه يؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون وللكلام تأثير في الطياع والنفوس وقد يسمع الإنسان ما يكره فيحتمي ويغضب وربما يحم منه وقد مات قوم بكلام سمعوه فهو بمنزلة العوارض والعلل التي تؤثر في الأبدان .

قوله D { وما أنزل على الملائكة ببابل } أي ويعملون الذي أنزل على الملائكة [ أي إلهاما وعلما فالإنزال بمعنى الإلهام والتعليم وقيل : واتبعوا ما أنزل على الملائكة ] وقرأ ابن عباس وحسن الملائكة بكسر اللام وقال ابن عباس : هما رجلان ساحران كانا ببابل وقال الحسن : علجان لأن الملائكة لا يعلمون السحر .

وبابل هي بابل العراق سميت بابل لتبليبل الألسنة بها عند سقوط صرح نمرود أي تفرقها قال ابن مسعود : بابل أرض الكوفة وقيل جبل دماوند القراءة المعروفة على الملائكة بالفتحز فإن قيل كيف يجوز تعليم السحر من الملائكة ؟ قيل : له تأويلان : أحدهما أنهما لا يتعمدان التعليم لكن يصفان السحر ويدركان بطلاقه ويأمران باجتنابه والتعليم بمعنى الإعلام فالشقي يترك نصيحتهما ويتعلم السحر من صنعتهما .

والتأويل الثاني : وهو الأصح : أن الله تعالى امتحن الناس بالملائكة في ذلك الوقت فمن شقى يتعلم السحر منهما [ ويأخذه عنهما ويعمل به ] فيكفر به ومن سعد يتركه فيبقى على الإيمان ويزداد المعلمان بالتعليم عذاباً فيه ابتلاء للمعلم [ والمتعلم ] و أن يمتحن عباده بما شاء فله الأمر والحكم .

قوله D { هاروت وماروت } اسمان سريانيان وهما في محل الخفض على تفسير الملائكة إلا أنهما نصبا لعجمتها ومعرفتهما وكانت قصتهما على ذكر ابن عباس والمفسرون : أن الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمالبني آدم الخبيثة في زمان إدريس عليه السلام فغيروهم وقالوا : هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض خليفة واختارتهم فهم يعصونك فقال الله تعالى : لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا فقالوا : سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال لهم الله تعالى : فاختاروا ملائكة من خياركم أهبطهما إلى الأرض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدتهم وقال الكلبي : قال الله تعالى لهم : اختاروا ثلاثة فاختاروا عزا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت - غير إسمهما لما قارفا الذنب

- وعزائيل فركب إله فيهم الشهوة وأهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فأما عزائيل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقبل ربه وسأله أن يرفعه إلى السماء فأقاله إلى السماء فأ قاله فسجد أربعين سنة لم يرفع رأسه ولم ينزل بعد ذلك مطأطاً رأسه حياء من الله تعالى .

وأما الآخرين : فإنهما ثبتا على ذلك وكانا يقضيان بين الناس يومهما فإذا أمسيا ذكر اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء قال قتادة : مما مر عليهما شهر حتى افتتنا قالوا جميعا إنه اختصت إليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : وكانت من أهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراواداها عن نفسها فأبىت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فأبىت وقالت : لا إلا أن تعبد ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا : لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها / قدح من خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها فراواداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا : الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقع بالمرأة فزنيا فلما فرغتا رأهما إنسان فقتلاه قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فمسخ الله تعالى كوكبا - وقال بعضهم : جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها فقال أحدهما للآخر : هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي ( من حب هذه ) ؟ قال : نعم فقال : وهل لك أن تقضي لها على زوجها بما تقول ؟ فقال له صاحبه : أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب ؟ فقال له صاحبه : أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألها نفسها فقالت : لا إلا أن تقتلاه فقال أحدهما : أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب ؟ فقال صاحبه : أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت : لا إن لي صنما أعبده إن أنتما صليتما معي له : فعلت فقال : أحدهما لصاحبه مثل القول الأول فقال صاحبه مثله فصليا معها له فمسخت شهابا .

قال ابن أبي طالب رضي الله عنه والكلبي و السدي : إنها قالت لهما حين سألاها نفسها : لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء فقالا : باسم الله الأكبر قالت : بما أنتم تدركاني حتى تعلما نيه فقال أحدهما لصاحبه : علمها فقال : إنني أخاف من رب العالمين قال الآخر : فأين رحمة الله تعالى ؟ فعلمها ذلك فتكلمت فصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكبا فذهب بعضهم إلى أنها الزهرة بعينها وأنكر الآخرون هذا وقالوا : إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي أقسم الله بها فقال { فلا أقسم بالخنس \* الجوار الكنس } ( 15 - التكوير ) والتي فتنت هاروت وما روت امرأة كانت تسمى الزهرة لجمالها فلما بعثت مسخها الله تعالى شهابا قالوا : فلما أمسى هاروت وما روت بعدهما قارفا الذنب هما بالصعود إلى السماء فلم

تطاويعهما أجنحتهما فعلمما ما حل بهما ( من الغضب ) فقصد إدريس النبي عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله وقال له : إننا رأيناك يصعد لك من العبادات مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاستشفع لنا إلى ربك ففعل ذلك إدريس عليه السلام فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا إذ علموا أنه ينقطع فهما ببابل يعذبان .

واختلفوا في كيفية عذابهما فقال عبد الله بن مسعود : هما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة وقال عطاء بن أبي رباح : رؤوسهما مصوبة تحت أجنحتهما وقال قتادة ( كbla ) من أقداهم إلى أصول أخادهما وقال مجاهد : جعلا في جب ملئ نارا وقال عمر بن سعد : منكوسان يضربان بسياط من الحديد .

وروي أن رجلاً قصد هاروت وماروت لتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما مزرقة أعينهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال : لا إله إلا الله فلما سمعا كلامه قال له : من أنت ؟ قال : رجل من الناس قال : من أي أمة أنت ؟ قال : من أمة محمد أ قال : إنهنبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا .

قوله تعالى : { وما يعلمان من أحد } أي أحداً و { من ) صلة { حتى } ينصحاه أولاً و يقول إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ } ابتلاء ومحنة { فلا تكفر } أي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر وأصل الفتنة : الاختبار والامتحان من قولهم : فتنت الذهب والفضة إذا ذابتها بالنار ليتميز الجيد من الرديء وإنما وحد الفتنة وهما اثنان لأن الفتنة مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع وقيل : إنما يقولان ( إنما نحن فتنه فلا تكفر ) سبع مرات .

قال عطاء و السدي : فإن أبي إلا التعلم قال له : ائت هذا الرماد ( وأقبل عليه ) فيخرج منه نور ساطع في السماء فذلك نور المعرفة وينزل شيء أسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى قال مجاهد : إن هاروت وماروت لا يصل إليهما أحد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل مسألة اختلافاً واحدة { فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه } وهو أن ( يؤخذ ) كل واحد عن صاحبه ويبغض كل واحد إلى صاحبه قال الله تعالى : { وما هم } قيل أي : السحرة وقيل : الشياطين { بضارين به } أي بالسحر { من أحد } أي أحداً { إلا إذن الله } أي : بعلمه وتكوينه فالساحر يسحر والله يكون .

قال سفيان الثوري : معناه إلا بقضائه وقدرته ومشيئته { ويتعلمون ما يضرهم } يعني : أن السحر يضرهم { ولا ينفعهم ولقد علموا } يعني اليهود { لمن اشتراه } أي اختار السحر { ما له في الآخرة من خلق } أي في الجنة من نصيب { ولبيس ما شروا به } باعوا به { أنفسهم } حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق { لو كانوا يعلمون } فإن قيل :

أليس قد قال { ولقد علموا لمن اشتراه } فما معنى قوله تعالى { لو كانوا يعلمون } بعدها أخبر أنهم علموا ؟ قيل : أراد بقوله { ولقد علموا } يعني الشياطين وقوله { لو كانوا يعلمون } يعني اليهود وقيل : كلاهما في اليهود يعني : لكنهم لما يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا